التفسير النفسي والبيولوجي لظاهرة العنف في المجتمع

د. عبد الرزاق باللموشي د. أحمد جلول
جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي

- **الملخص:** لقد تعددت الاتجاهات والمذاهب في تحليلها لظاهرة العنف فمنها ما يرده إلى شخصية الفرد نفسه، ومنها ما يردها إلى التكوين العضوي والبيولوجي للمجرم، ومن التفسيرات البيولوجية الحديثة للجريمة ارتباطه بوجود مورثات جينية تسبب إنتاج هرمونات معينة، أو تغير الإفرازات الهرمونية في الجسم قبل الولادة أو بعدها مباشرة، تساهم في ظهور تصرفات غير اجتماعية في عمر مبكر، ويصابون بإعراض السلوك العنيف. إضافة إلى ذلك، قد لا يظل البحث عن تفسير الظاهرة الإجرامية في نطاق العوامل الداخلية ذاتها، وإنما باللجوء تحديدا إلى العوامل المتعلقة بالتكوين النفسي للفرد سواء ما يتعلق بمنطقة الشعور أو اللاشعور لديه. ومن النظريات النفسية المفسرة لهذه الظاهرة نجد نظرية الإحباط ونظرية التعلم الاجتماعي.

- **الكلمات المفتاحية:** التفسير النفسي- التفسير البيولوجي- العنف.

- **Abstract**: Recent biological explanations of the crime are linked to the presence of genetic genes that cause the production of certain hormones, or changes in the hormonal secretions in the body before or shortly after birth, contributing to the emergence of non-social behaviors at an early age, and symptoms of violent behavior. In addition, there are factors related to the psychological composition of the individual, whether in relation to the area of feeling or unconsciousness. The psychological theories explain this phenomenon, we find the theory of frustration and the theory of social learning.

-**Keywords** : psychological interprétation - biological interpretation - violence

- مقدمة:

العنف ظاهرة مرضية تسود مختلف المجتمعات بدرجات متفاوتة، ويمثل صورة من صور القصور الذهني اتجاه موقف معين، وقد يصل العنف لمراحل الانهيار العقلي والجنون كما قد يكون وسيلة من وسائل العقوبة والتأديب أو صورة من صور تأنيب الضمير على جرم أو خطيئة مرتكبة ولن يتعدى في كل أحواله القصور الذهني والفكري لدى الإنسان وهو في حالة من حالاته اضطراب في إفرازات الغدد الهرمونية في جسم الفرد وعدم تناسب أو انتظام في التوزيع الهرموني داخل الجسم. وسنحاول في هذه المداخلة إيجاد تفسيرات بيولوجية ونفسية لهذه الظاهرة اللاصحية؟

أولا- الاتجاه البيولوجي:

تناولت الكثير من البحوث موضوع العنف والعدوان لدى الحيوانات، حيث أشارت إلى وجود خلايا في دماغ الفئران وبعض الحيوانات الأخرى، حيث حينما تُزَال يتوقف الفأر عن العدوان وبالعكس حينما تستثار زادت قدرته ونشاطه نحو إيذاء باقي أفراد الجماعة الذين معه في القفص ووجدت الدراسات أن الكهرو- كيميائية للدماغ تزداد بشكل مضطرد قبل وأثناء فعل العدوان، وبصورة خاصة، أنها تحفز الهايبوثلاموس الذي يزيد من إفراز الأدرنالين، الذي يسارع من وتيرة حركة الدم، فتظهر على الوجه أعراض التعرض والتحفز والاستعداد للوثوب (عياش،2009، ص. 68).

ووجد أيضًا عند معظم الحيوانات الفقرية، ذات الجهاز العصبي المتميز، أنها تفرز مواد كيميائية في الدم تغير من ضغط الدم وتحفز مناطق الثيلاموس للاندفاع نحو الهدف وهنا يأخذ العدوان شكلا وتعبيرا فطريين، أهم ذلك محاولة الدفاع عن النفس أو الوثوب على الهدف المعيق وتدميره. إن معظم أصحاب النظريات الإنسانية ونظريات التعلم من أصحاب هذه الأفكار حيث رفضوا فكرة المقارنة بين الإنسان والحيوان من شتى الوجوه، ففي الجهاز الطرفي توجد اللوزة، وهي نواة تنبه الهيبوثلاموس المهاد التحتي وهي المسؤولة عن العنف والعدوان، وهذا مرتبط بالجهاز العصبي المحيطي والغدة النخامية، كما أنه من الناحية الوظيفية يرتبط ببعض الحالات الخاصة وبالتغيرات الجسمية التي تصاحبها، ومن هذه التفسيرات انبثقت عدة نظريات بايولوجية في تفسير السلوك العنيف منها:

- نظرية بايولوجية العنف:

قدم الطب العقلي خلال السبعينات من القرن الماضي دورا لافتا في إبراز الجوانب "اللاشعورية" في دراسة وتفسير العنف، وقد أدى ذلك إلى صرف الانتباه عن العوامل النفسية للعنف، رغم ما أبداه الكثيرون على هذا الاتجاه من تحفظات.

ولقد فسر بعض البايولوجيون سلوك العنف على أنه نوع من الشذوذ في التراكيب الجينية أو التركيبية الوراثية، فقد جرت ما بين الستينات والسبعينات من القرن العشرين أبحاث مهمة عن تكوين الكروموزومات لدى ذكور المجرمين وإناثهم، والتكوين الجيني قد بات ثابتًا ومعروفا منذ 1956 حيث أن مجموع الصفات الصبغية أو الكروموزومات لدى الإنسان يحتوى على (46) زوجا متشابها كليا (وكل صبغ أو كرسومات يحتوى على المئات بل الألوف مما يسمى بالجينات أو المولودات أو المورثات) في حين أن الزوج الثالث والعشرين من هذه الصبغيات هو زوج الصبغيات أو الكروموزومات الجنسية (أي المرتبط بالجنس) يختلف في خلية الذكر عنه في خلية الأنثى فهو يتكون لدى المرأة من صبغتين متشابهين وكلاهما (X) أما لدى الرجل من صبغتين مختلفين أحداهما (X) والآخر(Y)، وقد أثبتت الدراسات أن الأفراد الذين يتميزون بالعدوانية والذين اعتقلوا بسب ارتكابهم شتى أنواع العنف، تظهر لديهم في أغلب الأحيان حالات من الشذوذ في صبغتهم الجنسية، إذ أن زيادة (X) واحد أو اثنين قد تسبب تخلفا عقليا،

ولكن زيادة (Y) واحدة قد يكون لها تأثير في الغرائز الإجرامية، وقد لوحظ بالفعل وجود نسبة كبيرة من صبغة (XYY) وهي غير طبيعية بين المجرمين (كورناتون، 1993، ص. 63).

ولذلك حاول بعضهم الربط بين هذا الشذوذ وبين الميل إلى العنف والعدوان عند الذكر أو الأنثى.

ومن التفسيرات البيولوجية الحديثة للعنف تفسير العنف بوجود مورثات جينية تسبب إنتاج هرمونات معينة، أو تغير الإفرازات الهرمونية في الجسم قبل الولادة أو بعدها مباشرة، فقد أكدت البيولوجية "ماكبرينت" "Makbrent" الأستاذة في جامعة شيكاغو الأمريكية، أن البداية المبكرة للسلوك العدواني واستمراره يرتبط بوجود مستويات منخفضة من هرمون التوتر المسمى (كورتيزول) في اللعاب، إذ أن وجود مستويات منخفضة من هذا الهرمون تشجع السلوك العدواني لدى العدواني لدى الأولاد في سن (7-12) سنة الذين يبدون في إظهار تصرفات غير اجتماعية في عمر مبكر، ويصابون بإعراض السلوك العنيف، تبلغ حوالي ثلاث أضعاف أولئك الذين يملكون مستويات مرتفعة أو متغيرة منه، وثبت أن الأطفال المصابين باضطراب مستمر في السلوك يبقون مشوشين لسنوات طويلة، وقد يرتبطون بنسبة كبيرة في أحداث الجرائم، وقد اعتمدت نتائج هذه الدراسة على تتبع (36) صبيا ممن يزورون العيادات النفسية بسبب اضطرابات السلوك والشخصية لمدة أربع سنوات، إذ تم تقييم السلوك العدواني العنيف لديهم، وتسجيل الأعراض التي تصيبهم كالبدء في العراك واستخدام الأسلحة والعنف والسرقة أو توجهات جنسية غريبة، إذ لاحظ الباحثون أن أعراض اضطراب السلوك الدائم بلغت في المتوسط (2-5) عند (12) صبيا ممن يمتلكون مستويات منخفضة من هرمون(كورتيزول) في حين كانت لدى (1.5) فقط بين الستة والعشرين صبيا الباقين الذين يملكن مستويات عالية من هذا الهرمون (عبد الله، 2004، ص.70).

- نظرية النقص العقلي:

تعددت تفسيرات العنف المرتبطة بالوضع العقلي لمرتكب العنف وكانت أولى هذه التفسيرات نظرية النقص العقلي، فسر أصحاب هذه النظرية سلوك العنف على أنه نتيجة عيوب ونقائص تصيب العقل البشري.

وقد توصل "سذرلاند" "Sitherland" إلى أن دراساته عن اختيار الذكاء التي أجريت على (175) ألف جانح ومجرم توصلت إلى أن نسبة الذين شخصوا على أنهم ضعاف العقول قد بلغ (20%) من إجمالي العينة.

وقد ظهرت وجهة نظر أخرى ترد العنف إلى ما يلحق بأدمغة البشر من إضرار وما تتميز به عقولهم من خصائص مرضية، وقد أطلق على وجهة النظر هذه بمصطلح (بيولوجيا العنف) إلا أنها تتعلق كلها بالنقص العقلي، وكيمياء الدماغ.

وبفضل التقدم العلمي تمكن العلماء من عزل جينات محددة بشكل منفصل للحصول على صورة دماغية حية، كما أصبح المختصون في الأعصاب قادرين على تصوير الخلل في دماغ المجرم من خلال استخدام آلة تخطيط الدماغ، وتم الحصول على بيانات وصور للقوى المولدة لنوبات العنف وقد أجريت أول دراسة من هذا النوع على أدمغة المجرمين عام 1980م إذ توصل الباحثين إلى أن مرتكبي العنف قد تعرضوا في طفولتهم إلى سوء المعاملة وأن أدمغتهم تحتوى على مناطق غير نشطة تتعلق بمراكز السيطرة، وقد ارجع الباحثون ذلك إلى احتمال التعرض للضرب على الرأس في مرحلة الطفولة، وقد كشف أحد الباحثين في جامعة تكساس عام 1997م، أن نزعة العنف الشديد لدى ذوي النزعة العدوانية ترجع إلى تلف في الفص الأمامي والخلفي بأدمغتهم بسبب ما يلحق بالدماغ من إضرار (عبد الله، 2004، ص.163).

وتوصلت "بلاكمور" "Blakmor" إلى أن أحداث أضرار في الدماغ يؤدي إلى الكثير من السلوكيات الغريبة بما فيها السلوكيات المنحرفة التي تتميز بالعنف، إذ أشارت الدراسات التصويرية إلى إن معظم السلوكيات الشاذة تترافق عادة مع حدوث أضرار أو ضعف في الفصوص الجبهية، وقد فسرت العلاقة بين الأضرار التي تصيب الجبهة والعنف بالآتي: (تلعب الفصوص الجبهية دورا كبيرا في العواطف التي تعد أساسا آليات ذاتية، وهي مخصصة لإحداث الاستجابات الجسدية اتجاه أي محفز بيئي وتشكل المشاعر التي ندعوها بالعواطف، والتي هي الطرف الواعي في نظام انعكاس لا واع بصورة رئيسية)، وتتولد العواطف في النظام الحرفي وهو (دماغ اللاوعي) الذي يقع تحت القشرة الدماغية، حيث يتم (اختيار) المعلومات الداخلة قبل أن تصل إلى الوعي، فإذا كان هناك ثمة خطر ما، حيوان مفترس مثلا أو وجه عابس غاضب أو حتى شيء مفيد كالطعام، فإنه يطلق واحدة من الأفعال الانعكاسية الثلاثة التالية (المقاومة، أو الهرب، أو انتزاع شيء ما) وبعد برهة تصل إلى أجزاء صغيرة من الثانية (جزء من الألف) يتم تسجيل هذا المحفز بصورة واعية في القشرة الدماغية الجبهية، ونتيجة لذلك يتم إرسال إشارة "توقف" إلى النظام، ما يؤدي إلى منع حدوث ردة الفعل الغريزية، في حين يقوم دماغ الوعي بإجراء استجابة أكثر تطورا، ويملك معظم البالغين نشاطات في القشرة الدماغية الجبهية تكفي لوقف الأفعال الانعكاسية، بيد أن الأشخاص الذين يعانون من إضرار أو تخلف في نمو الفصوص أو إفراط في نشاط الجهاز الدماغي لن يكونوا قادرين على التحكم بدوافعهم، وقد أشارت إحدى الدراسات التي اعتمدت على مسح الدماغ أن 15 من أصل 22 مجرما عنيفا يعانون من انخفاض في نشاط الفص الجبهي بالمقارنة بالأشخاص العاديين كما أظهرت 14 دراسة أخرى على الأقل أن مرتكبي أعمال العنف يعانون من النوبات الصرعية أكثر من غيرهم وهذه النوبات هي التي تستبقي نشاط الجهاز الحرفي خارج السيطرة (عياش،2009، ص. 72).

- نظرية كيميائية الدماغ:

فسر أصحاب هذه النظرية سلوك العنف بأنه بسبب حدوث تغيرات كيميائية، فرغم أن العلماء لا يعرفون كثيرا عن كيمياء الدماغ وجغرافيته وبنية الدماغ البشري إذ لم يعرفوا في الواقع سوى القليل عن آلية دماغ الإنسان فضلا عن عدم معرفتهم بالطريقة التي يضبط بها الأفعال الصادرة عن الفرد، فقد أجريت دراسة في الولايات المتحدة قام بها المختبر الوطني الأمريكي استهدفت إيجاد العلاقة بين الدوبامين (dopamine) وإدمان الكحول وبين السلوك العنيف الناجم عن ذلك، ويشير الباحثون إلى أن الأشخاص الذين لا ينتجون كيمياء كافية من الدوبامين سواء بسبب تغيرات جينية أو بسبب عوامل بيئية ربما يسعون للحصول على عقاقير مسببة للإدمان لكي يتجنبوا الكآبة (عبد الله، 2004، ص.70).

هذا ومن جانب أخر قد جاء في مشروع جامعة "سومونا ستيت" في ولاية كاليفورنيا (وهو مشروع سنوي يحمل اسما خاضعا للرقابة تتضافر فيه جهود 125 من الباحثين) تفسير يربط بين الكيمياء والعنف ولكن بشكل مختلف حيث ربط هذا التفسير بين زيادة العنف وملوثات البيئة وقد جاء ذلك في عام 1999 على النحو الآتي: (إن ملوثات البيئة تدعم العنف، حيث إن التعرض للملوثات السامة في مواد كيميائية ومعادن ثقيلة، يشكل خطرا على الصحة). وهذا ما كشفت عنه دراستان أكدتا أن هناك علاقة كبيرة بين التعرض للسموم وبين ازدياد العنف في السلوك الاجتماعي، ففي عام (1996) أجرى "نيدلمان" "Nedelman" دراسة تناولت تسعة متغيرات من ضمنها مستوى الفقر والمراهقة، والتعرض للرصاص، في محاولة تفسير أسباب السلوك العنيف لدى الشباب، وتبين أن سلوك الشباب الذين تتمركز كميات عالية من الرصاص في عظامهم، يكون أكثر عدوانية وجنوحا من سلوك الذين توجد في عظامهم كميات منخفضة من الرصاص ناهيك عن إن سلوك المجموعة الأولى ازداد سواء مع مرور الوقت بغض النظر عن العوامل الاجتماعية، وأشارت دراسة أخرى قام بها "دي ماستر De Master" وزملاءه، إلى أن التعرض للملوثات السامة، وخاصة الرصاص والمنغنيز، ربما يساهم في ميل بعض البشر لارتكاب الجرائم والسلوك العنيف، الأمر الذي دفع "ماستر" إلى تطوير فرضية التسمم العصبي، واكتشف أن التلوث البيئي وارتفاع الكحول، يلعبان دورا كبيرا في مسألة ارتكاب الجرائم والسلوك العنيف، فقد بلغ معدل ارتكاب تلك الجرائم في المقاطعات الأمريكية التي يكثر فيها التعرض للرصاص والمنغنيز، مع ارتفاع استهلاك الكحول، مستوى يفوق المعدل العام للجريمة بثلاث أضعاف ويقول "ماستر" إن عامل التلوث لا يفوق عامل الفقر خطورة فانهيار آلية الردع الذاتي هو مفتاح السلوك العنيف (شحود ، 1999، ص .06).

لقد أكد الاتجاه في الدماغ، ولكنها تعرضت لانتقادات منهجية في تفسيرها للعنف، وذلك كونها تعتمد على حالات فردية، وتراجعت نوعا أمام النظريات الحديثة. فبالرغم مما توصل إليه علماء الأعصاب حول كيميائية وبنية الدماغ إلا البيولوجي في تفسيره للعنف على عدة جوانب (الوراثة، النقص

العقلي، والانحرافات في وظائف الدماغ، والعوامل الحياتية الكيميائية) أنهم في الحقيقة لا يعرفون إلا القليل عن آلية عمل الدماغ والكيفية التي يضبط بها الأفعال، ويعزى الغموض يحيط بعلم بيولوجيا العنف إلى عدم تقدير الباحثين لتشعبات البحث في هذا الموضوع، حيث لا يستطيع العلماء بشكل عام القول بأن هناك شذوذا معينا في الدماغ يدفع بالشخص إلى القيام بسلوك عنيف، ومع إهمال التفسير البيولوجي لتأثير عوامل أخرى في حدوث العنف أو الحد منه كالتنشئة الاجتماعية والمواقف الاجتماعية وتأثيرات البيئة يبقى هذا الاتجاه بحاجة إلى توسيع أكثر مع الأخذ في الحسبان الفروق الفردية في الاستعداد للقيام بسلوك عنيف.

ثانيا- الاتجاه النفسي:

تعددت التفسيرات النفسية للسلوك العدواني العنيف، تبعا لتعدد نظريات علم النفس ومن خلفياتها النظرية التي تؤمن بها وتسوقها، إن رواد المدرسة النفسية حاولوا أن يثبتوا العلاقة بين العنف والسلوك الانحراف وتكوين الفرد كالاضطرابات النفسية وعلاقتها بالسلوك العنيف ومن النظريات ما يلي:

- نظرية الإحباط:

يرى أصحاب النظريات والمتأثرون بالفلسفة الوجودية الذاتية أن العدوان ما هو إلا رد فعل ناتج عن إحباط ذاتي أو جمعي مرتبط بعدم تحقيق دوافع أو الوصول إلى منافع أو طموحات مرجوة، ويرى كل من "دولارد" "Dollard " و"ميللر" "Millar"، أن الإحباط هو خيبة الأمل التي تحدث نتيجة عدم تحقيق دافع معين للفرد (منيب وسليمان،2007، ص. 23).

وبمعنى أخر هو عملية تتضمن إدراك الفرد لعائق يحول دون إشباع حاجاته أو توقع الفرد حدوث هذا العائق في المستقبل، وإذا كان الإحباط يؤدي في بعض الأوقات إلى تقوية الدافع فإن الإحباط عادة ما يؤدي إلى العدوان ويؤكد أصحاب هذه النظرية أن الإحباط يؤدي إلى العنف والعدوان وهذا بتوفر شرطين هما:

- **الشرط الأول:** العدوان يحدث إذا كان الإحباط يحدث بطريقة متعسفة ولا معنى لها.
- **الشرط الثاني:** حينما يكون العدوان والعنف فعَّالاً في التخلص من العقبات التي تعترض طريق إشباع الحاجات.

ولا شك أن حياة الإنسان مليئة بالكثير من المواقف التي تقف أمام بعض الأفراد حينما يسعون إلى تحقيق غرض أو هدف معين، هذه الحواجز والعوائق هي بدورها التي تسبب لهم الإحباط والتوتر، مما يضطرهم هذا إلى تجاوز تلك الحواجز بأي أسلوب كان خاصة حينما يكون الإنسان في مرحلة المراهقة، إذ يزداد التوتر والانفعال مما يزيد من الإصرار على تجاوز هذه العقبات وقد يكون ذلك عن طريق السلوك العنيف.

لقد زعم بعض علماء النفس أن تجاوز الإحباط الشديد في مرحلة الطفولة والمراهقة تؤدي إلى مخزون الغضب نحو الآخرين قد ينتهي بالقيام بسلوك عنيف معهم بما في ذلك قتلهم وقد انتهى "بالمر" "Balmer" من دراسته عن الأشخاص العنيفين إلى أنهم قد مروا بصدمات وإيذاء يعادل ضعف ما تعرض له غير العنيفين، من خلال مراحل طفولتهم ومراهقتهم وتشمل(الصدمات، معاناة الميلاد، العمليات الجراحية الخطرة، الأمراض، الحوادث الخطيرة، الضرب، والإيذاء البدني من غير الوالدين، العيوب الخلقية، التعرض لنظام صارم، التبول الليلي)، مع جميع الأعراض التي تثير معاناة الإحباط الكبير، ينجم عنها مزيدا من الإحباط (التير، 1997، ص. 36).

إن الفرد عندما تسيطر عليه حالة من عدم الشعور، يواجه التوتر والإحباط وعندما تعيق أهدافه من الوصول إلى مرادها وهدفها فيلجأ هنا إلى محاولة تجاوز وتخفيف هذا العائق، وغالبا ما يكون السلوك العنيف هو الوسيلة الأسرع التي يرى أنها تحقق له ذلك ويشعر أيضا من خلالها بالتفريغ والتنفيس عما يختلج بداخله من توترات واحباطات وضغوط الحياة، فإن الفرد عندما يواجه الإحباط إما أن يكتب هذه المشاعر والتوترات أو يفرغ هذه الشحنات التي بداخله إما إلى مصدر الإحباط أو الذات إذا عجز عن إيصال ذلك الإيذاء إلى غيره، والإحباط يشكل في مضمونه ضغطا على الفرد وذاته مما يجعل الصور الناجمة عن الإحباط تتعدد والتي منها العنف والعدوان، إلى جانب بقية الصور الأخرى.

عندما لا يستطيع الفرد مواجهة المجتمع أو الغير بسبب الخوف الذي ينتابه وبعض الأفكار الوهمية التي قد تسيطر عليه، تجعله في معزل عن الآخرين مما يشعره بالقلق، فالقلق وهو شعور ينتاب الفرد ويجعله فريسة للأوهام والمخاوف التي تسيطر عليه فيقوم هنا ببعض الأنماط السلوكية التي لا تعد سوية في نظر الناس مما يترتب على ذلك الشعور بالقلق عجز هذا الفرد عن مواجهة الحياة فيقوم ببعض الأفعال المنحرفة والشاذة وربما الإجرامية في بعض مظاهرها (عياش،2009، ص 72).

بالرغم من أهمية هذه النظرية في تفسير العنف، إلا أنها فشلت في تفسير أسباب عدم ظهور السلوك العنيف لدى كثير من الفقراء الذين هم أكثر عرضة للإحباط، وعلى الرغم من أهمية عامل الإحباط في استثارة السلوك العنيف، إلا أن ذلك لا يعني أن كل إنسان تعرض للإحباط يمارس بالضرورة العنف، كم أن هذه النظرية فشلت في تفسير أسباب وجود العنف لدى بعض أفراد الطبقة العليا (الغنية) الذين هم أقل عرضة للإحباط. كذلك من بين الانتقادات التي وجهت لهذه النظرية:

- أنها جعلت من الإحباط السبب الرئيسي في حدوث العدوان والعنف وتجاهلت عوامل أخرى يمكن أن تساهم إلى جانب الإحباط في حدوث العنف.
- قد يصدر من الفرد عنف أو عدوان من خلال التعلم والتدريب، وينساق القرد العنف ليس رغبة في إلحاق الضرر بالضحية، ولكن من أجل مكاسب نفعية مادية.

- نظرية التعلم الاجتماعي:

من أعلام هذه النظرية "باندورا" "Bandura" "و"والتر" "Walters" (1959)، ومثال على هذا المدخل، نجد أن سلوك الأطفال يتبع ردود الأفعال من قبل الآخرين سواء أكان سلبًا أم إيجابا، وخاصة الأشخاص الكبار المحيطين بهم وتربطهم علاقات تواصل معهم، وبشكل خاص الآباء والأخوة الكبار أو ما يسمى الناس المهمين، إضافة إلى ذلك ما يشاهده الصغار على شاشة التلفاز وغيره من وسائل الاتصال، ولنفرض أن الأطفال يشاهدون فيلما يتسم بالعنف، فقد شاهد شخصا بالغا يضرب ويستخدم العنف، وإذا ما لاحظوا أن هذا السلوك تم تعزيزه أو مكافأته، فعلى الأرجح سوف يستجيب الطفل بنفس الأسلوب إذا ما مر بنفس التجربة (المجالي، 2011، ص. 34).

ويقترح العالم "باندورا" و"والتر" أن سلوك العنف عند المراهقين هو نتيجة للعلاقات المضطربة مع الوالدين أو ما نسميه بالغضب والإحباط الذي يتولد نتيجة هذه العلاقات الأسرية المضطربة عند اليافعين، وبالتالي نجد الطفل يفتقر إلى علاقات المودة والمحبة والتي يفترض أن تسود الأسرة.

ويعرف أعلام هذه النظرية السلوك العدواني بأنه سلوك متعلم على الأغلب، ويعزون ذلك أن الفرد يتعلم الكثير من أنماطه السلوكية عن طريق مشاهدته عند غيره وخاصة لدى الأطفال، حيث يتعلمون سلوك العدوان عن طريق ملاحظة نماذج العدوان عند والديهم ومدرسيهم وأصدقائهم...الخ من النماذج، ومن ثم يقومون بتقليدها، فإذا عوقب الطفل على السلوك المقلد فإنه لا يميل في المرات القادمة لتقليده، أما إذا كوفئ عليه، فيزداد عدد مرات التقليد لهذا العدوان (منيب وسليمان،2007، ص 23).

ويميز "بندورا ووالتر" بين اكتساب الفرد للسلوك وتأديته له، فاكتساب الشخص للسلوك لا يعني بالضرورة أنه سيؤديه، إذ أن تأديته لسلوك النموذج تتوقف بشكل مباشر على توقعاته من نتائج التقليد، وعلى نتائج السلوك، فإذا توقع أن تقليده لسلوك النموذج سيعود عليه بنتائج سلبية (أي سيعاقب على سلوكه) فإن احتمالات تقليده له ستقل، أما إذا توقع الملاحظ أن تقليده لسلوك النموذج ستعود عليه بنتائج إيجابية فإن احتمالات تقليده لذلك تصبح أكبر.

وأهتم كل من "باندورا" و"والتر" بدراسة الإنسان في تفاعله مع الآخرين، وأعطيا اهتمامًا بالغًا بالنظرة الاجتماعية، والشخصية في تصورهما لا تفهم إلا من خلال السياق الاجتماعي والتفاعل الاجتماعي والسلوك عنده يتشكل بالملاحظة أي ملاحظة سلوك الآخرين، ومن الملامح البارزة في نظرية التعلم الاجتماعي الدور الواضح الذي يوليه تنظيم السلوك عن طريق العمليات المعرفية مثل الانتباه، التذكر، التخيل، التفكير، حيث لها القدرة على التأثير في اكتساب السلوك، وأن الإنسان له القدرة على توقع النتائج قبل حدوثها ويؤثر هذا التوقع المقصود أو التخيل في توجيه السلوك. وتتلخص وجهة نظر "باندورا" و"والتر" في تفسير العدوان بالآتي:

معظم السلوك العدواني متعلم من خلال الملاحظة والتقليد، حيث يتعلم الأطفال السلوك العدواني بملاحظة نماذج وأمثلة من السلوك العدواني يقدمها أفراد الأسرة والأصدقاء والأفراد الراشدون في بيئة الطفل، وهناك عدة مصادر يتعلم من خلالها الطفل بالملاحظة السلوك العدواني منها:

- التأثير الأسري، الأقران، النماذج الرمزية في المسلسلات التلفزيونية.
- اكتساب السلوك العدواني من الخبرات السابقة.
- التعلم المباشر للمسالك العدوانية كالإثارة المباشرة للأفعال العدوانية الصريحة في أي وقت.
- تأكيد هذا السلوك من خلال التعزيز والمكافآت.
- إثارة الطفل إما بالهجوم الجسمي أو التهديدات أو الإهانات أو إعاقة سلوك موجه نحو هدف أو تقليل التعزيز أو إنهائه، الأمر الذي قد يؤدي إلى العدوان.
- العقاب قد يؤدي إلى زيادة العدوان.

يرفض "باترسون" "Patterson" و"باندورا" "Bandura" أصحاب هذه النظرية فكرة أن العنف ينتج من دوافع داخلية، بل يؤكد أن العنف ينتج عند تعلم اجتماعي يعتمد على الإثارة والتقليد والتعزيز، وانه سلوك متعلم مكتسب لا يختلف عن أي سلوك اجتماعي يكتسبه الفرد، وهذا النمط من أنماط السلوك يعتمد على التعزيز المباشر، وغير المباشر، وأيضًا على التقيد الاجتماعي لسلوك أشخاص آخرين في نفس البيئة.

وبما أن أفراد أي مجتمع يتعلمون عاداته وتقاليده وأعرافه، قد يتصرفون بطرق يعتبرها المجتمع مرغوبة، فإن النظريات العدوانية أو العنيفة غالبًا ما تحدث في ثقافة تتقبل أو تشجع العنف، حيث أن العادات العنيفة تكتسب من خلال التقليد، أو كنتيجة للسلوك المنحرف (المجالي، 2011، ص. 35).

إن ما يميز نظرية التعلم الاجتماعي من غيرها من النظريات في تفسير العنف ميزتان الأولى هي أنها نظرية مصقولة ودقيقة في معالجتها لسلوك العنف، والثانية أنها متفائلة بإمكانية الوقاية من هذا السلوك، أو ضبطه والتحكم فيه، وذلك لكونه سلوك قابل للتعديل والتغيير، ومع ذلك فقد وجهت لهذه النظرية بعض الانتقادات والتي منها أن أصحاب نظرية التعلم ركزوا كل جهودهم حول فعل التعلم في تفسير السلوك العنيف، بينما لا يمكن إهمال الدور الذي تلعبه العوامل النفسية والاجتماعية التي يعانيها الفرد، بالإضافة إلى عامل الوراثة والبيئة التي يعيش فيها.

- خاتمة:

يعتبر العنف ظاهرة سلبية متفشية في معظم المجتمعات بدرجات متفاوتة تبعا للمستوى الثقافي والتعليمي والديني والحضري لكل مجتمع، واختلفت الأبحاث في تفسيرها للعنف فمنها ما يركز على الجانب البيولوجي بما في ذلك موضوع الصبغيات وما تحمله من صفات وراثية فيها استعدادات فطرية

للعنف، وكذلك التغيرات الكيميائية للدماغ وزيادة أو نقص مستوى كل هرمون وما يؤثر ذلك على سلوك الفرد، كما لا ننسى الاتجاه النفسي وما يحمله من نظريات مفسرة لظاهرة العنف مثل نظرية الإحباط ونظرية التعلم الاجتماعي وغيرها.

لكن تجدر الإشارة إلى أن الاتجاهات السابقة في تحليلها للعنف اقتصرت على عامل بعينه أعطت له الدور الأكبر في تفسير الظاهرة، وترفض الاعتراف بالعوامل الأخرى أو تمنحها دورا ثانويا في تفسيرها، لهذا ظهرت مذاهب واتجاهات أخرى لا تنكر دور كل العوامل السابقة في إنتاج ظاهرة العنف والجريمة بشكل عام، وأضافت لها أسباب أخرى مثل الأسباب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها. ويمكن مواجهة العنف عند الشباب من خلال الإجراءات التالية:

- الاهتمام بالتعلم بالقدوة واستغلاله في مواجهة العنف.
- تشجيع النشاطات الإسلامية من محاضرات وندوات واحتفالات ومهرجانات ورحلات تربوية.
- تعزيز القيم الأخلاقية الإسلامية وفي الحديث (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). وذلك من خلال الأسرة وكافة المؤسسات الاجتماعية والإعلامية.
- التوعية بحقوق المؤسسات وحقوق الآخرين وواجباتهم.
- وضع القوانين والتشريعات الإسلامية.
- توجيه طاقة الشاب المراهق للجوانب الإيجابية مثل الرياضة والمنافسات الثقافية والدينية والترفيهية.

- قائمة المراجع:

- التير مصطفى عمر. (1997)، العنف العائلي، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، الرياض.
- المجالي أحمد عبد السلام. (2011). ظاهرة العنف الجامعي عواملها وكيفية الحد منها في ضوء تصورات طلبة الدراسات العليا في جامعة مؤتة، رسالة دكتوراه منشورة، جامعة مؤتة.
- شحود فايز. (1999). العنف والجريمة، مؤسسة الخليج، الشارقة.
- عبد الله عبد الغني غانم، (2004)، جرائم العنف وسبل المواجهة، (د - ن)، الرياض.
- عياش ليث محمد. (2009)، سلوك العنف وعلاقته بالشعور بالندم، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن.
- كورناتون ميشيل، (1993). جذور العنف الحيوية النفسية والنفسية الاجتماعية، المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع، بيروت.
- منيب تهاني محمد عثمان، سليمان عزة محمد. (2007). العنف لدى الشباب الجامعي، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض.